مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة-علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- اليمن (١٧) (٢٠٢٠/٦) ٢٦١٧-٥٨٩٤ :ISSN

تناصر أهل الباطل في ضوء القرآن الكريم

(حقيقته ووجوهه ومنطلقاته ووسائله)

د/ هيفاء صالح طاهر بوقس

أستاذ التفسير المساعد بقسم القراءات

كلية أصول الدين ـ جامعة أم القرى

ملخص البحث

تناصر أهل الباطل في ضوء القرآن الكريم (حقيقته ووجوهه ومنطلقاته ووسائله)

يهدف هذا البحث إلى: بيان حقيقة التناصر بين أهل الباطل وبيان وجوهه ومنطلقاته وإلى ذكر وسائله.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستنباطي، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. وتوصلت من خلاله إلى عدد من النتائج، منها:

أن التناصر يطلق على معنى التَّعاون على النَّصر بوسائل وأساليب متنوعة وليس بالضرورة أن يبنى على الموالاة الكاملة، وقد يقع التناصر بين أهل الباطل ظاهرا في الدنيا، ولكنه في الحقيقة يحتوي على خلل في بنيته؛ لأنه لا يقوم على أسس تضمن له الاستمرار والصدق والدوام، والجامع لأهل الباطل هو الحرب على الحق أو المصلحة. وأما في الآخرة فلا يقع التناصر بين أهل الباطل البتة.

وهناك وجوه من التناصر بين أهل الباطل في الدنيا، كالموالاة والتعاون ودعم المواقف والتكاثر والتعزز.. وغير ذلك، وتلك الوجوه من التناصر بينهم تتفاوت في مستوياتها وشمولها ومجالاتها.. وتتنوع إلى نظرية وعملية ولها أبعاد استراتيجية وتكتيكية. وترتبط بمعطيات متنوعة يمليها الواقع والتخطيط.

كما أن التناصر بين أهل الباطل له منطلقات ثابتة ومتغيرة، فالثابتة: لها أبعاد دينية وفكرية ثقافية، وأخلاقية وسلوكية تربوية، ومنهجية تخطيطية. والمتغيرة: مرجعها النفاق والمصالح الآنية. وللتناصر بينهم وسائل نظرية وعملية متنوعة، ذات مستويات متفاوتة.

كلمات مفتاحية: التناصر وجوه التناصر الباطل منطلقات التناصر وسائل التناصر.

Abstract

This research: The support of the people of falsehood in the light of the Noble Qur'an (its truth, its faces, its starting points and its means). It aims to: To clarify the reality of the victory among the people of falsehood and to explain its faces and its starting points and to mention its meansIn this research, I followed the descriptive deductive approach, and reached through it a number of results, including:That advocacy calls the meaning of cooperation over victory by various means and methods and is not necessarily based on complete loyalty, and victory may occur between the people of falsehood apparently in the world, but in fact it contains a defect in its structure, because it is not based on foundations that guarantee its continuity, honesty, permanence, and inclusion for the people of falsehood is war on the right or the interest. As for the hereafter, there is no victory between the people of falsehood.There are aspects of rivalry between the people of falsehood in the world, such as loyalty, cooperation, support for situations, reproduction, reinforcement, etc., and those aspects of rivalry between them vary in their levels, coverage, and fields .. and they vary into theory and practice and have strategic and tactical dimensions. And it relates to various data dictated by reality and planning.Likewise, the sympathy between the people of falsehood has fixed and variable starting points, for it is fixed: it has religious, intellectual, cultural, ethical, educational and behavioral dimensions, and a planning methodology. And the variable: reference to hypocrisy and immediate interests. And among the people there are various theoretical and practical means, of varying levels.This research came in the introduction and four investigations and a conclusion.

Key words: Victory, object of invalid objection, premise of victory, means of victory

المقدمـة

إن الحمـد للـه، نحمـده ونستعينه ونستغفره، ونعـوذ باللـه مـن شـرور أنفسـنا ومـن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، أما بعد:

فإن من حكمة الله تعالى من خلق الحياة الدنيا أن جعل فيها الابتلاء والامتحان للبشر بوجوه من الامتحانات والابتلاءات؛ لأهداف وحكم عديدة، ومن موارد ذلك الامتحان: بقاء الصراع بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويتخذ ذلك الصراع صورا شتى على المستوى الديني والحياتي.

أهمية البحث:

مما يخفى في هذا الصراع وجود دوافع ترتبط بمعتقدات وأفكار وأهداف، سواء من جانب أهل الحق أو أهل الباطل. وقد بين القرآن الكريم ذلك بمستويات متفاوتة من البيان، وبوجوه عديدة.

ودوافع أهل الحق وأهدافهم تكاد أن تكون معروفة عند المؤمن القارئ لكتاب الله تعالى، ولكن قد تخفى الدوافع التي عند أهل الباطل، أو تخفى جوانب منها على الكثير من الناس، فجاء البحث لتلبية جانب من هذا النقص المعرفي.

والبحث فيه أيضا عون للدعاة والمصلحين؛ فقد يعينهم في طرقهم وأساليبهم في الدعوة والإصلاح، وكذلك طلبة إعداد الدعاة في الجامعات والمعاهد العلمية قد يجدون مادة علمية في هذا البحث لبحوثهم ودراساتهم العليا. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث.

ولكل ذلك فقد أردت الإسهام في بيان حقيقة التناصر بين أهل الباطل مع جانب من دوافعهم للتناصر، من خلال هذا البحث الذي سميته: **تناصر أهل الباطل في ضوء القرآن الكريم (حقيقته ووجوهه ومنطلقاته ووسائله)**.

أهداف البحث:

وقد هدفت من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. بيان حقيقة التناصر بين أهل الباطل.

٢. بيان وجوه التناصر ومنطلقاته عند أهل الباطل.

٣. ذكر وسائل التناصر بين أهل الباطل.

تساؤلات البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما حقيقة التناصر بين أهل الباطل؟ وما هي وجوهه؟

٢. ما هي منطلقات ودوافع التناصر بين أهل الباطل؟

٣. ما هي وسائل التناصر بين أهل الباطل؟

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستنباطي، من خلال تتبع الآيات التي تدل للموضوع واستنباط المعاني والدلالات التي تخدم جوانب الموضوع، مع الاستفادة من كلام العلماء وتحريراتهم، مع ملاحظة عدم استقصاء كل الآيات الدالة لمفاهيم البحث؛ فالمقصد التمثيل والتدليل.

الدراسات السابقة:

موضوع تناصر أهل الباطل موضوع مطروق في كتب السابقين وتفاسيرهم، ولكن ليس كبحث مستقل، بحسب علمي، كما أني لم أجد بحثا بنفس المعطيات التي قصدت إليها في بحثي.

خطة البحث: وقد قمست بتقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، كما يلي:

المبحث الأول: حقيقة التناصر بين أهل الباطل .. وفيه مطلبان

المطلب الأول: مفهوم التناصر في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: حقيقة تناصر أهل الباطل في القرآن

المبحث الثاني: وجوه التناصر بين أهل الباطل ومستوياته في القرآن.. وفيه مطلبان

المطلب الأول: وجوه التناصر بين أهل الباطل

المطلب الثاني: مستويات التناصر بين أهل الباطل

المبحث الثالث: منطلقات ودوافع التناصر بين أهل الباطل في القرآن وفيه مطلبان

المطلب الأول: منطلقات ودوافع منهجية للتناصر بين أهل الباطل

المطلب الثاني: منطلقات ودوافع متغيرة للتناصر بين أهل الباطل

المبحث الرابع: وسائل التناصر بين أهل الباطل في القرآن.. وفيه مطلبان

المطلب الأول: الوسائل النظرية الفكرية والثقافية للتناصر بين أهل الباطل

المطلب الثاني: الوسائل العملية السلوكية للتناصر بين أهل الباطل

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

حقيقة التناصر بين أهل الباطل

المطلب الأول: مفهوم التناصر في اللغة والاصطلاح

ـ التناصُر في اللغة:

هو مصدر من باب نصَر، يقال: تناصر تناصرا ومناصرة، ويأتي لعدة معان متقاربة:

١. التعاون: "يقال: تَنَاصروا: تَعاونوا على النَّصْر. ونَصَرَ بَعْضُهم بَعْضًا"[١].

٢. التصديق والتأييد: "ومنَ المَجاز: تَنَاَصَرت الأخبارُ: صَدَّقَ بعضُها بَعْضًا"[٢].

٣. التوالي والتواتر، أي التتابع المستمر: يقال: "توالت أنباء الحادث: تتناصر"[٣].

٤. الموالاة[٤]، وهو معنى يرجع إلى المعنى السابق (من حيث اللغة)، ولكن الموالاة ربما أشمل من التوالي والتواتر، من حيث مؤداها العملي الاصطلاحي.

٥. التعاضُد: "وَفِي الحَدِيث: (كلُّ المُسلِمِ عَن المُسلِم مُحَرَّمٌ، أَخَوَان نَصيران)[٥]، أَي هما أَخَوَان يَتَنَاصَران وَيَتَعاضَدان. والنَّصير فَعيلٌ بِمَعْنى فَاعل أَو مفعول، لأنّ كلَّ واحدٍ من المُتَناصِرَيْن ناصرٌ ومنصورٌ"[٦].

هذه المعاني للتناصر هي معان لغوية وضعية عامة، ولا تختص بجماعة معينة أو فرد أو صفة. ولكنني هنا أبحث في التناصر بين أهل الباطل، ولذلك فإن المعاني والدلالات جميعها ستطبق عليهم.

---

[١] – الزبيدي، تاج العروس (١٤/ ٢٢٥)

[٢] – نفس المرجع والموضع

[٣] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٢٠)

[٤] – انظر: وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٩/ ٢٣٧)

[٥] – الحديث أخرجه أحمد في المسند، (٣٣/ ٢٣٧) رقم: ٢٠٠٣٧، وغيره، وقال محققه: إسناده حسن.

[٦] – تاج العروس، مرجع سابق (١٤/ ٢٣٤)

. التناصُر في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتناصر عن معانيه اللغوية، كما عرفه أهل الاصطلاح، فبعضهم عرفه بكلمة واحدة، فقال: "التناصر: التعاون"[١]. والتعاون من مقتضيات التناصر أو أحد وجوهه.

وذكر بعضهم أن التناصر: هو الولاء أو الموالاة[٢]. ولكن التناصر أوسع من الموالاة من جهة أسبابه وأنواعه، وقد يفترقان من حيث إن التناصر ليس بالضرورة أن يقوم على أساس من المحبة والألفة والقرب بخلاف الموالاة.

والتّناصر من باب التفاعل[٣]، ومعنى ذلك أنه يحدث من جانبين، سواء على مستوى الأفراد أو المجموعات أو الدول[٤].

ولذلك فيمكن تعريف التناصر اصطلاحا بأنه: التَّعاون على النَّصر بوسائل وأساليب متنوعة، وليس بالضرورة أن يبنى على الموالاة الكاملة..

المطلب الثاني: حقيقة تناصر أهل الباطل في القرآن

ذكر الله التناصر بين أهل الباطل في كتابه، وبين أنهم يخططون ليكون ذلك التناصر مستمرا في الدنيا والآخرة – وإن كانوا لا يؤمنون بالآخرة حقيقة، ولكنهم يفترضون ذلك–، وبين القرآن أيضا حقيقة هذا التناصر بينهم، ويمكن أن نعرض حقيقة هذا التناصر كما يلي:

أولا: التناصر بين أهل الباطل في الدنيا:

بين القرآن أن التناصر بين أهل الباطل يقع ظاهرا في الدنيا، فنراهم يتعاونون ويوالي بعضهم بعضا ويؤيد بعضهم بعضا، ويكون بينهم وجوه عديدة من التناصر،

---

[١] – المناوي زين الدين، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١١٠)

[٢] – انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، مرجع سابق (٣٩/ ٢٣٧)

[٣] – نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١٠/ ٦٦٣٠)

[٤] – أنظر: مجموعة من الباحثين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/ ١٢٣٢)

بل قد يظهر ذلك التناصر في أقصى قوة له. ومن هنا حث الله المؤمنين على التناصر فيما بينهم بتقرير وجود التناصر بين أهل الباطل، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣] وقال: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴾[التوبة:٦٧]، فالتناصر موجود واقعا بين أهل الباطل، كما تثبته هذه الآيات وغيرها.

ولكن في الحقيقة أن هذا التناصر بين أعداء الله في الدنيا يحتوي على خلل في بنيته؛ لأنه لا يقوم على أسس متينة تضمن له الاستمرار والصدق والدوام؛ ذلك أنه إنما يقوم على مبادئ فاسدة أو على المصالح الدنيوية التي تتبدل وتتغير، ولذلك إذا خافوا فواتها أو اشتد عليهم الكرب تخلى بعضهم عن بعض. وهذا ما يقرره القرآن الكريم في مواضع، فيقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

قال أبو حيان – رحمه الله –: " نزلت في عبد الله بن أبي ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقي الأنصار كانوا بعثوا إلى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله: {يقولون}، والأخوة التي بينهم أخوة الكفر وموالاتهم، {ولا نطيع فيكم} أي في قتالكم أحداً من الرسول والمؤمنين، أو لا نطيع فيكم: أي في خذلانكم، وإخلاف ما وعدناكم من النصرة، {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} أي في

مواعيدهم لليهود، وفي ذلك دليل على صحة النبوة؛ لأنه إخبار بالغيب، ولذلك لم يخرجوا حين أخرج بنوا النضير، بل أقاموا في ديارهم"[١].

والتناصر بين أهل الباطل أيضا لا يقوم على محبة وألفة حقيقية، إنما يجمعهم الحرب على الحق، وقد بين الله حقيقة أمرهم الداخلي الذي يمثل قمة التنافر والتباعد، فقال: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر: ١٤]. قال ابن كثير: " {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} أي عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥]؛ ولهذا قال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف"[٢]. فليس بينهم ألفة ولا تناصر حقيقي، "وهذه حالة الجماعة المتخاذلة: أنّ بينهم إحَناً وعداوات، فلا يتعاضدون حقَّ التناصر ولا ينصرون أبداً. واجتماع النفوس مع تنافر القلوب أصل كل فساد، وموجب كل تخاذل، واتفاق القلوب، والاشتراك في الهمّة، والتساوي في القصد، يُوجب كلّ ظفرٍ وسعادة. وما وَصَف به الحق تعالى المنافقين واليهود كله تجسير للمؤمنين، وتشجيع لقلوبهم على قتالهم"[٣].

وقد يكون التناصر الظاهري بسبب طمع أو عطاء أو ما شابه ذلك، مثلما يفترض في أصحاب قارون وأنصاره، فقد كان له أتباع وأنصار وحشم وخدم عندما كان يعطي ويملك وليس به بأس، فلما أخذه الله تفرقوا عنه ولم ينتصروا له، كما

---

[١] – أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط (٢٤٨/٨)

[٢] – ابن كثير، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) (٤ / ٣٤٠)

[٣] – ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ١٣)

قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[القصص:٨١]، أي فما نصره أنصاره ولا حصل له النصر بنفسه[١].

ومن هذا الباب: بيان الله بأن المبطلين اتخذوا آلهة لينصروهم عند حاجتهم لهم، أي رجاء نصرهم لهم، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يس:٧٤]، ولكنهم يتخلون عنهم أحوج ما يكونون إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٢]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف:١٩٧]. و"تقديم المفعول في (ولا أنفسهم ينصرون) للاهتمام بنفي هذا النصر عنهم، لأنه أدل على عجز تلك الآلهة.. والمعنى: أن الأصنام لا ينصرون من يعبدونهم إذا احتاجوا لنصرهم ولا ينصرون أنفسهم إن رام أحد الاعتداء عليها. والظاهر أن تخصيص النصر من بين الأعمال التي يتخيلون أن تقوم بها الأصنام مقصود منه تنبيه المشركين على انتفاء مقدرة الأصنام على نفعهم، إذ كان النصر أشد مرغوب لهم"[٢].

وأخبر الله تعالى عن عدم نفع الكفار آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله عند حاجتهم لها للنصرة، فلم تنصرهم عندما أهلكهم الله تعالى في الدنيا، بل لقد غابت عنهم عمدا وقصدا، فزعْم الكفار بنصرة الآلهة لهم زعم باطل، ولكنه من تلبيس الشيطان عليهم، قال الله تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٧، ٢٨]. قال أبو حيان: "{فلولا نصرهم}: أي فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك، الذين اتخذوهم من دون

---

[١] – ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠/ ١٨٦) والمراغي، تفسير المراغي (٢٠/ ١٠٠)

[٢] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٩/ ٢١٧)

الله قرباناً: أي في حال التقرب، وجعلهم شفعاء آلهة، {بل ضلوا عنهم} أي: غابوا عن نصرتهم "[١]. ف "ما نصروهم بل ضلوا عنهم أي غابوا فلم يعثروا عليهم بالكلية"[٢].

ثانياً :التناصر بين أهل الباطل في الآخرة:

من الحقائق القاطعة في القرآن الكريم أن التناصر في الآخرة ينقطع بين الناس جميعا، مؤمنين وغير مؤمنين، يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]. لأنه عند ذلك تنقطع الأسباب والصلات التي تكون بين الناس في الدنيا، ﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلٗى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[الدخان:٤١]. ولا يبقى سبب ولا ولاية إلا لله تعالى وحده، يقول تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾[الكهف:٤٤]. قرئ: (هنالك الولايةُ لله الحقُ)، برفع الحق، على أن الحق نعت للولاية، أي: هنالك الولاية الحق، وهنالك الملك والسلطان لله وحده، وهنالك المناصرة والتعزيز والتأييد، فالحق لله وليس لأحد سواه[٣]. "أي في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله يوالي أولياءه فيغلبهم على أعدائه ويفوض أمر الكفار إليهم"[٤].

وأيضا لأن الناس كلٌ مشغول بنفسه ويريد لها النجاة ولا يستطيع نصر نفسه فكيف سينصر غيره.

واستثناء الشفاعة بين المؤمنين في ذلك الموقف، وهي نوع من التناصر، إنما يكون بإذن الله تعالى ورحمته لهم، كما هو مقرر في أكثر من آية، ومنه قوله

---

[١] – تفسير البحر المحيط، مرجع سابق (٦٦/٨)

[٢] – أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (٥/ ٦٣)

[٣] – انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٣٠٣)

[٤] – الرازي، مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦٦)

تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[سورة الدخان: ٤٠- ٤٢]. أي في ذلك اليوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، وذلك يعم جميع الموالي من القرابة والعتاقة والصلة، ولاهم ينصرون، {إلا من رحم الله}، أي لا يغني قريب إلا المؤمنين، فإنه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم البعض[١].

وأما أهل الباطل فلا يقع بينهم تناصر في الآخرة البتة، ولا يأذن الله بذلك، كما يخبر الله تعالى عن ذلك فيقول: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[الجن:٢٣، ٢٤]. يبين الله تعالى أن الكفار إذا رأوا ما يوعدون، من العذاب في الدنيا أو في الآخرة، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أي من هو أضعف جنداً ينتصر به وأقل عدداً، أهم أم المؤمنون[٢]. وليس في الآية دلالة على أن لهم ناصرين ضعافا في الآخرة، فالكافر ليس ناصر في الآخرة البتة[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[سورة الجاثية:٣٤]. أي: ليس لهم من ينْصرهم ويمنع عنهم العذاب[٤]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[سورة الأحزاب:٦٤، ٦٥] فالله عز وجل يبعد هؤلاء الكفار عن رحمته، ويدخلهم النار؛ ليذوقوا العذاب، ولا منقذ لهم ولا نصير من عذاب الله تعالى، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾[الشورى: ٤٦]، "أي هم في عذاب دائم لا يجدون منه نصيرا، وهو رد

---

[١] – انظر: تفسير البحر المحيط، مرجع سابق (٣٩/٨)

[٢] – انظر: الشوكاني، فتح القدير (٣٧٢/٥)

[٣] – انظر: مفاتيح الغيب، مرجع سابق (٣٠/ ٦٧٧)

[٤] – انظر: فتح القدير، مرجع سابق (١١/٥)

لمزاعمهم أن آلهتهم تنفعهم عند الله. وجملة ينصرونهم صفة لأولياء للدلالة على أن المراد هنا ولاية خاصة، وهي ولاية النصر"[١].

ويقول تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٤٥]. يخبر تعالى عن مصير المنافقين بأنهم في أسفل دركات النار؛ وذلك لأنهم شاركوا الكفار في الكفر بالله تعالى، ومعاداة رسله، وزادوا على ذلك المكر والخديعة على وجه لا يشعر به ولا يحس؛ وذلك بانضمامهم في صفوف المسلمين حيث تجري عليهم أحكام الإسلام، ولذلك ليس لهم نصير ومنقذ يدفع عنهم عذاب الله تعالى[٢].

وليس هذا فحسب بل إن أهل الباطل يحجمون عن التناصر الذي كانوا قد تحالفوا أو توافقوا وركنوا عليه، فيخذل بعضهم بعضا أشد ما يكونون حاجة لبعضهم، يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾[الصافات:٢٠- ٢٥]. يخبر تعالى عن ندم الكفار يوم القيامة وحسرتهم عندما يعاينون أهوال ذلك اليوم العظيم، فيقال لهم: {مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ} أي كما زعمتم أنكم جميع منتصر، فيخذل بعضهم بعضاً، ثم ينقادون ويستسلمون لأمر الله تعالى.

وليس ذلك تخل عن منهجهم في التناصر بالحق والباطل طواعية، وإنما هو إلجاء ألجأهم إليه الضعف والهوان الذي تملكهم وأحاط بهم، فقوله: (مالكم لا تناصرون) فيه دليل على ثبات ذلك في منهجيتهم وتصرفاتهم بحق وباطل.. ولذلك استثنى فقال: (بل هم اليوم مستسلمون) بمعنى أنهم تخلوا عن ذلك

---

[١] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٥/ ١٣٠)

[٢]– انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١١)

لسبب أكبر. "والاستفهام في (ما لكم لا تناصرون) مستعمل في التعجيز مع التنبيه على الخطأ الذي كانوا فيه في الحياة الدنيا. وجملة (لا تناصرون) حال من ضمير (لكم) وهي مناط الاستفهام، أي أن هذه الحالة تستوجب التعجب من عدم تناصركم.. والإضراب المستفاد من (بل) إضراب لإبطال إمكان التناصر بينهم، وهو تأكيد لما دل عليه الاستفهام من التعجيز. والاستسلام: الإسلام القوي، أي إسلام النفس وترك المدافعة فهو مبالغة في أسلم"[١].

ولا يكتفي أهل الباطل في الآخرة بالتخاذل فيما بينهم، بل إنهم يجهرون بالعداء بعضهم لبعض في ذلك اليوم، فبدل ما كان يرجى منهم من التناصر، انعكس الأمر فعاد عداوة، وكل إنسان يشكو من الذي أضله ويتمنى لو ينتقم منه. وقد قرر القرآن هذا بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[مريم:٨١،٨٢]. أي سيكونون أعداءَ لهم متعاونين عليهم في خصومتهم وتكذيبهم[٢]. وبقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]. وبقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٦، ١٦٧].

فهذه هي حقيقة التناصر بين أهل الباطل في الدنيا والآخرة، يبنى في الدنيا على التعاون المشترك، وتدعمه المبادئ الفاسدة أو المصالح المتغيرة، وفي الآخرة يخذل بعضهم بعضا ويرجع بهم الحال إلى العداوة والتقاطع.

---

[١] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٣/ ١٠٢) بتصرف واختصار

[٢] – مجمع البحوث، التفسير الوسيط (٦/ ٩٩٤)

المبحث الثاني:

وجوه التناصر بين أهل الباطل ومستوياته في القرآن

المطلب الأول: وجوه التناصر بين أهل الباطل

يقع التناصر بين أهل الباطل في الدنيا، ويتجلى ذلك في وجوه عديدة، يمكن تصنيفها إلى صنفين عامين: الأول: الوجوه النظرية من التناصر، والثاني: الوجوه العملية من التناصر. ويصعب الفصل الكامل بين هذه الوجوه لتداخلها ولأن كلا منها قد يكون وجها للأخر أو نتيجة له، ولذلك سأسردها سردا متتابعا وإن أشرت إلى تصنيف بعضها أحيانا. وذلك كما يلي:

١. الموالاة أو الولاية، وهي وصف جامع لكثير من وجوه التناصر، وتطلق لغة: على الحب والصداقة والمباطنة بالأسرار، وتطلق: على النصرة[١] تنبني على الوفاق والوئام والصلة[٢]. و"الولاية" مصطلح قرآني تردد في القرآن الكريم، ومعناه: القيام بأمور الآخرين[٣].

وعلى هذا فإن الموالاة أو الولاية هي أعلى وأوثق وجوه التناصر بين أهل الباطل. وقد ذكر الله وجود هذه الولاية بين المبطلين فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾[الأنفال:٧٣]، " فهم في جملتهم فريق واحد تجاه المسلمين، وإن كانوا شيعا يعادي بعضهم بعضا، ولم يكن في الحجاز

---

[١] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (١/ ٥٤٩)

[٢] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٦/ ٢٢٨)

[٣] – الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية (ص: ٣٤١)

حين نزلت هذه السورة إلا المشركون واليهود، وكان اليهود يتولون المشركين وينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين"[١].

ومن صور الولاية: الخضوع لسلطة المتولَّى، كما يدل له قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[النحل: ١٠٠]، المراد الشيطان، "أي ما سلطانه وتأثيره وهيمنته وولايته إلا على أتباعه الذين يطيعونه ويستجيبون لإغرائه ووسوسته إلى درجة الشرك، وهم بمعزل في غوايتهم هذه عن القهر والإكراه"[٢]، وهذا يعني أن دافعهم للخضوع له هو محبتهم وانتصارهم له وليس قوة تسلطه عليهم، كما يبينه قوله تعالى حكاية عنه: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٢. التعاون، وله أيضا صور متنوعة، ومستويات متفاوتة، والتعاون بين أهل الباطل هو أن يعين بعض الناس بعضا على فعل الشر وترك الخير والتعدي على الغير.

والله سبحانه نهى عن التعاون على الباطل، فقال: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢]، يعني: ولا يعن بعضكم بعضًا "على الإثم"، يعني: على ترك ما أمركم الله بفعله "والعدوان"، يقول: ولا على أن تتجاوزوا ما حدَّ الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم"[٣]. وهذا التعاون على الباطل إنما هو من أعمال الفجار وأهل الباطل، والقرآن يذكر ذلك في مواضع منه.

---

[١] – تفسير المراغي، مرجع سابق (١٠/ ٤٤)

[٢] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٥/ ٦٧٩)

[٣] – وانظر: الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٩/ ٤٩٠)

وقد يكون التعاون بينهم بالفعل، كما في قول الله سبحانه: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[النمل:٤٩]، "أي تحالفوا وتعاهدوا وتبايعوا"[١]، على القيام بتنفيذ الأمر جميعا.

ومن التعاون بينهم على الباطل التعاون من خلال دعم مواقف بعضهم أو تصرفاتهم، وأحيانا يكون بالإيجاب أي الوقوف والدعم الظاهر بالقول والتأييد، وأحيانا يكون بالسلب، أي بالتغاضي والسكوت عن أهل الباطل وتصرفاتهم، وربما الرضا بأفعالهم. كما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]، الآية تشير إلى أن هذا الفعل جماعي وليس فرديا؛ وإن فعله فرد أو البعض منهم إلا أن رضا الآخرين وتأييدهم يجعلهم مشاركين في الفعل الإجرامي، "وعبر عن جرائمهم بصيغة الفعل المضارع- يكفرون ويقتلون لاستحضار صورة أفعالهم الشنيعة في أذهان المخاطبين، ولإفادة أن أفعالهم هذه متجددة كلما استطاعوا إليها سبيلا، وللإشعار بأن اليهود المعاصرين للنبي صلّى الله عليه وسلّم كانوا راضين بفعل آبائهم وأسلافهم،.. وقد وردت آثار متعددة تصرح بأن اليهود قد دأبوا على قتل الأنبياء والمصلحين"[٢].

ويؤكد القرآن هذا المعنى فيقول: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٩]، أي أن الإنسان منهم كان يرى زميلاً له يتهيأ لارتكاب منكر أو يقع فيه فلا ينهاه[٣]، وهذا جعلهم مشتركين في الفعل الإجرامي جميعا. وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن كان قبلكم من

---

[١] – سعيد حوى، الأساس في التفسير (٧/ ٤٠٢٠)

[٢] – طنطاوي، التفسير الوسيط (٢/ ٦٣)

[٣] – انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (٦/ ٣٣٢٧)

بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيرا[١]، فإذا كان من الغد جالسه وآكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، وجعل منهم القردة والخنازير، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم»[٢].

والتعاون بينهم قد يصل إلى الاشتراك في القتال ضد خصومهم، كما في قوله الله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾[القمر:٤٤]، فهذه دعوة منهم للاتحاد الذي قدروا أنه سببا لنصرهم. ومن ذلك ما وقع من المنافقين الذين قاتلوا مع المشركين ضد المسلمين يوم أحد.

ويكون التعاون بينهم في الإمداد بالعدة والدعم المادي، وغير ذلك، كما يقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:٣٦].

والتعاون باب كبير من التناصر أكتفي بما ذكرته من مضموناته هنا.

٣. التعزيز لهم والتعزُّز بهم، فهم يعزز بعضهم بعضا ويتعززون ببعضهم، أي يتقوَّون ببعضهم ويقوي بعضهم بعضا، والله سبحانه ذكر هذا المقصد عندهم، فقال عن مقصدهم من اتخاذ آلهة باطلة من دون الله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا

---

[١] – التعذير كالتقصير، والمعنى ينهونهم نهيا لا يبالغون فيه، انظر: ابن الجوزي، غريب الحديث (٢/ ٧٦).

[٢] – انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢٦٩) رقم: ١٢١٥٣، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

لَهُمْ عِزًّا ﴾[مريم:٨١]، وقال عن المنافقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[النساء: ١٣٩].

ومن التعزز والتقوي الذي ينشده المبطلون: نشدانهم ذلك يوم القيامة، كما يفيده قوله تعالى: {فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق:١٠]، فقد كانوا يتوقعون النصر من أنفسهم أو ممن هو معهم، والآية تنفي حصول ذلك، أي ليس للإنسان قوة تدفع عنه، سواء من نفسه أو من غيره، بحسب ما كان يتوقع منهم، والظاهر أن المراد بالإنسان هنا الكافر؛ لأن المؤمن ينصره الله في الدنيا والآخرة[١].

٤. تكاثر بعضهم ببعض، كما هو في جانب من معنى قوله تعالى:﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر:١]، "ومنه تكاثر في العدد من الأولاد والأحلاف للاعتزاز بهم، وقد فسرت الآية بهما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥][٢]. والشاهد هنا هو قبولهم أن يتكاثر بعضهم ببعض، وهذا هو وجه النصرة، وفيه معنى تكثير السواد والعدد والعدة، ليكون في ذلك مهابة لهم وترغيبا في اتّباعهم.

ويدخل في هذا ما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ [الأنعام:١٢٨]، فمعنى استكثرتم من الإنس أكثرتم من اتخاذهم، أي من جعْلهم أتباعا لكم، أي تجاوزتم الحد في استهوائهم واستغوائهم، فطوعتم منهم كثيرا جدا[٣]. وصورة التناصر هنا أن بعضهم يفيد بعضا في أهدافه ومقاصده.

---

[١] – الأساس في التفسير (١١/ ٦٤٦٩)

[٢] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٣٠/ ٥١٩)

[٣] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٨-أ/ ٦٧)

٥. استمتاع بعضهم ببعض، كما في الآية السابقة أيضا، في قوله: ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ فالاستمتاع هنا إعانة كل من الطرفين صاحبَه على تحقيق مآربه ومقاصده[١]، ويتجلى ذلك بتبادل المنافع فيما بينهم، وهي منافع تشمل كثيرا من وجوه التناصر، كتقديم الطاعة والولاء والخدمات المتنوعة[٢].

٦. أن بعضهم لبعض فئة ومرجع للآخر يرجع إليه عند الحاجة، وهذا من أعظم أبواب التناصر، وقد حكى الله عن تقدير المبطلين لذلك وذهابه أحوج ما يكونون إليه، كما في قوله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف:٤٣]، "أي لم تكن له فئة أيْ منعة وقوم ينصرونه، من دون الله أي يقدرون على نصرته من دون الله، كما افتخر بهم واستعز على صاحبه، وما كان منتصرا أي ممتنعا بنفسه وقوته عن انتقام الله"[٣]. وفي هذا دلالة على أن صاحب الجنة كان يعد الفئة والقوم للانتصار بهم، ولكن الله لم يجعل لذلك سبيلا عند إهلاكه له.

ومثل هذا جاء في قوله تعالى عن قارون: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[القصص:٨١]، فقد "كان قارون معتزا على موسى بالطائفة التي كانت شايعته على موسى وهم كثير من رؤساء جماعة اللاويين وغيرهم، فلذلك قال الله تعالى فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله، إذ كان قد أعدهم للنصر على موسى رسول الله فخسف بهم معه وهو يراهم، وما كان من المنتصرين كما كان يحسب"[٤].

---

[١] – انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق (١٠/ ٥٨٩٢)

[٢] – انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، مرجع سابق (٥/ ١٧٧)

[٣] – القاسمي، محاسن التأويل (٧/ ٣٦)

[٤] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٠/ ١٨٦)

فهذا التناصر بهذه الطريقة وإن كانت الآيات تنفي وقوعه إلا أنها لا تنفي أن التخطيط له كان واقعا من جهة المبطلين.

٧. التثبيت والوعد بالنصر، والدعم المعنوي، كما هو في قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١]، فهذه الآية تصور نوعا من النصر والدعم قاله المنافقون لإخوانهم من أهل الكتاب، واللام في قوله: {لإخوانهم} للتبليغ، أي بلغوهم، والمراد بأخوتهم: إما توافقهم في الكفر أو صداقتهم وموالاتهم[١]. وعدوهم بالنصر والمعاونة وعدم الخذلان لهم، ليثبتوهم على مقاومة المسلمين.

ومن التثبيت بينهم: تثبيتهم على المبادئ الباطلة، وتعزيز الثقة بها، ليكون في ذلك صلة بينهم ولإعطاء ثقة للآخرين بما هم عليه، كما قد يفيده قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] وفي سبب نزول هذه الآية ما يفيد معنى التناصر بين اليهود وكفار قريش[٢]، فهم "إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين. وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم"[٣].

وأكتفي بهذه الوجوه من وجوه التناصر بين أهل الباطل، وفيما سيأتي بيان لبعض مستويات ومنطلقات التناصر فيما بينهم.

---

[١] – أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٢٣٠)

[٢] – انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق (٧/ ٦) رقم: ١٠٩٣١، ومقبل الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٦٨)، وقال: الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١ /٥١٣) فقال قال الإمام أحمد حدثني محمد بن أبي عدي به وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن ص٤٢٨، ورجاله رجال الصحيح. إلا أن الراجح إرساله كما ذكر في تخريج تفسير ابن كثير.

[٣] – سيد قطب، في ظلال القرآن (٢/ ٦٨١)

المطلب الثاني: مستويات التناصر بين أهل الباطل

مما يبين أن التناصر له مستويات متفاوتة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[الأنفال:٧٢]، فالآية تثبت الولاية الكاملة بين المؤمنين المهاجرين المجاهدين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُۚ ﴾ ، ثم تنهى عن الولاية الشاملة للمؤمنين الذين لم يهاجروا: (مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ)، ولكنها تسمح بنصرتهم بشروط – والنصرة جزء من الولاية– إذا استنصروهم.. ومن أحسن البيان في تفاوت مستويات التناصر القائم على الولاية، ما ذكره ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة: ٥١]، قال ما ملخلصه: من يتولاهم يصير واحدا منهم. جعل ولايتهم موجبة كون المتولي منهم، وهذا بظاهره يقتضي أن ولايتهم دخول في ملتهم؛ لأن معنى البعضية هنا لا يستقيم إلا بالكون في دينهم. ولما كان المؤمن إذا اعتقد عقيدة الإيمان واتبع الرسول ولم ينافق كان مسلما لا محالة كانت الآية بحاجة إلى التأويل، وقد تأولها المفسرون بأحد تأويلين:

إما بحمل الولاية في قوله: (ومن يتولهم) على الولاية الكاملة أي بالمعتقد والدين.. وإما بتأويل قوله: (فإنه منهم) على التشبيه البليغ، أي فهو كواحد منهم في استحقاق العذاب. قال: "وقد اتفق علماء السنة على أن ما دون الرضا بالكفر ومما لأتهم عليه من الولاية لا يوجب الخروج من الربقة الإسلامية ولكنه ضلال عظيم،

وهو مراتب في القوة بحسب قوة الموالاة وباختلاف أحوال المسلمين"[١]. وهناك آيات أخرى تشهد لهذا المعنى.

وقد ذكر القرآن وجوها من التناصر بين أهل الباطل، كما قد أسلفت القول، وبالنظر إلى تلك الوجوه نجد أنها ليست على مستوى واحد من القوة ولا من الشمول، بل تتفاوت في ذلك، وهو أمر طبيعي بين أناس تقوم الروابط بينهم على مرتكزات مختلفة ومتنوعة وغير ثابتة، ولذلك فالتناصر بينهم له مستويات من عدة جوانب بحسب منطلقاته ومرتكزاته وإطاراته الفكرية والثقافية والمصلحية، ويمكن عرض مستويات من التناصر بين أهل الباطل فيما يأتي:

أ) تناصر شامل وتناصر جزئي (غير شامل): وبيان ذلك كما يلي:

١ـ التناصر الشامل: وأعني بذلك أنهم يتناصرون على كل المستويات وبدون مواربة، والسبب في ذلك هو الإطار الذي يجتمعون عليه من المناهج أو الأهداف والغايات والاتفاقات والمخططات، وهذا المستوى تشير إليه بعض الآيات، مثل قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال:٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[الجاثية: ١٩]. هذه ولاية فيما بينهم في المناصرة والمؤازة يتحدون في هذه الولاية عندما يكون لهم عدو مشترك يخافون منه على مصالحهم وسلطاتهم[٢]. وهذه الولاية هنا تتضمن أن مبادئهم واحدة ومرتكزاتهم الفكرية والمصلحية واحدة؛ لأنهم من صنف واحد، فتناصرهم فيما يوصلهم إلى مصالحهم وأهدافهم جميعا. وشمول هذا التناصر يدخل فيه المساندة الظاهرة والخفية، بما في ذلك الرضا

---

[١] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٦/ ٢٣٠)

[٢] – انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٥/ ٣١٩٦)

والانسجام والمحبة الدافعة للتناصر؛ لأن التعبير بالولاية يدل على ذلك، كما ذكرته في تعريف الولاية سابقا.

٢- **التناصر الجزئي**، أو غير الشامل، وهو قد يقع في بعض الجوانب المتفق عليها، أو التي تتحقق فيها مصالح أو أهداف محدودة لدى الجميع، ومن هذا ما يدل له قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة: ٥١]، فالولاية هنا بين اليهود والنصارى لا يدخل فيها ولاية الدين، وإنما يقصد بها ولاية التحالف والتناصر، لأن لكل منهم دين خاص، وأيضا القرآن قد قرر في مواضع أخرى أنهم لا يتفقون في الدين[١]، وهذا الوضع من التناصر بينهم قد تحكمه المصلحة، وسياق الآية يشهد لهذه الدلالة؛ فهو في مخاطبة المؤمنين ونهيهم وتحذيرهم من موالاة الكافرين[٢]، فالولاية قد تكون في مستويات محددة، إما متفق عليها أو قد تفرضها طبيعة الأعمال والقضايا التي يكون فيها التناصر أو غير ذلك من المعطيات.

ويشهد لهذا المعنى: نهي المؤمنين في الآية عن ولاية اليهود والنصارى، فلا يقصد به الولاية الكاملة، فعدم اتباعهم في الدين — وهو من الولاية- خارج هنا من المفهوم؛ لأن المؤمنين إذا اتبعوهم في دينهم صاروا منهم ولا يكونون مؤمنين، ولا يلتبس ذلك على المؤمنين حتى ينهوا عنه، "فالمراد إنما هو ولاء التحالف والتناصر، الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم، بحكم ما كان واقعاً من تشابك

---

[١] - كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[البقرة:١١٣].

[٢] - انظر: تفسير المراغي، مرجع سابق (٦/ ١٣٤)

المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة، حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله"[١].

ومن الولاية غير الشاملة بين أهل الباطل: ما ذكره القرآن من ولاية المنافقين بعضهم لبعض، في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[التوبة:٦٧]، فالمنافقون بعضهم يشبه بعضا في الشك والنفاق والارتياب وفي صفات معينة، ولكن لا صلة بينهم ولا تآلف ولا أخوة تامة، "وانظر في وصف المؤمنين بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وفي وصف المنافقين (بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) ترى أن المنافقين لا ولاية بينهم ولا أخوة تبلغ درجة الإيثار والنصرة في الحروب، ولكنها أخوة كلام فقط"[٢]، فتناصرهم ومناصرتهم في مستويات مصلحية، ولكن قوتها قد تستمد من جوانب أخرى: كمستويات المصالح وأنواعها، وكالجوانب الثقافية أو الفكرية أو الأهواء والإلف للفسق...

والتعبير في الآية بقوله: {بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ} وإن كان لا يعكس شمولية الولاء والتناصر، لكنه يبين تشابه صفاتهم وبنية تفكيرهم وطبيعتهم الثابتة وطبيعة الجو الذي يألفونه ويحبونه، فهم متشابهون متداخلون متشابكون فيما بينهم، لا يحسون بالانسجام والطمأنينة وهدوء البال في ذواتهم إلا إذا كانوا يتنفسون في جو النفاق الخاص بهم[٣]. وهذا لا يعني المحبة والتآلف بينهم، إنما هو جامع مصلحي. "فيشبه بعضهم بعضا في

---

[١] – في ظلال القرآن، مرجع سابق (٢/ ٩٠٩)

[٢] – الحجازي محمد محمود، التفسير الواضح (١/ ٩٠٥)

[٣] – انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٩/ ٥٢٦٧) ومحمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ٤٠٦)

الشكوك والذبذبة وما يتبعها من الجبن والبخل وهما يمنعان من التناصر ببذل النفس والمال، وقصارى أمرهم التعاون بالكلام وما لا يشق من الأعمال"[١].

وقال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: (بعضهم أولياء بعض) أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف. وقال في المنافقين" بعضهم من بعض" لأن قلوبهم مختلفة ولكن يضم بعضهم إلى بعض في الحكم"[٢]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[الأنعام:١٢٩]، بيان أن المصلحة تقيم نوعا من الولاء، فالولاء بين الظالمين هنا بسبب ما كانوا يكسبون من أعمال الظلم المشتركة بينهم، فيكونون أنصارا وأصدقاء لبعض بسبب ذلك[٣].

ومن التناصر الجزئي: ما ذكره الله عن المنافقين ووعدهم لليهود بالنصرة والعون، في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١، ١٢]. فوعد المنافقين لليهود بالنصرة أكذبه الله، لأنهم يعلم دخيلة نفوسهم وجبنهم، فكانت نصرتهم كلاما فقط.. وهو نوع من التناصر يمكن أن يهدف إلى التثبيت والتقوية..

ب) تناصر ظاهر وتناصر خفي (غير ظاهر)، وبيان ذلك كما يلي:

١. **التناصر الظاهر**، وذلك بإظهار النصرة والولاء، ولو بوجه من الوجوه، ومن ذلك ما يبينه قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

---

[١] – تفسير المراغي، مرجع سابق (١٠/ ١٦٠)

[٢] – القرطبي، تفسير القرطبي (٨/ ٢٠٣)

[٣] – التفسير الواضح، مرجع سابق (١/ ٦٦٤)

أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠]، أي: "من جرائمهم التي نراها: أَن كثيرا منهم يناصرون الكافرين، ويؤَيدونهم، ويتوددون إِليهم. والمقصود بالكفار هنا: المشركون، وقد أَعلن كعب بن الأَشرف أن المشركين {أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}. وقيل: المراد بالذين كفروا – هنا المنافقون وكان زعيم المنافقين بالمدينة: عبد الله بن أبي، يوالي اليهود ويوالونه[١].

ومن التناصر الظاهر ما ذكره قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥٢]، "قوله تعالى: {يسارعون فيهم} حال من الموصول والرؤية بصرية، وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والأول هو الأنسب بظهور نفاقهم، أي تراهم مسارعين في موالاتهم"[٢]. وقوله في نهاية الآية: {فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}، يحتمل أنهم أسروا قولهم: (نخشى أن تصيبنا دائرة) أي هو قول نفسي، ويحتمل أن المقصود بما أسروه المرضَ وهو عدم الثقة بنصر المسلمين، أو الخشية من انتقاض المسلمين على المنافقين[٣]. فالإسرار هو بما في النفوس من المعتقدات والدوافع وليس بالسلوك الذي قد ظهر منهم رأي العين.

٢- **التناصر غير الظاهر**، أي الذي يكون في الخفاء، أو يكون بوسائل خفية، يكشف الله وجوها من هذا المستوى من التناصر، فيقول: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]، (شياطينهم) أصحابهم من المنافقين والمشركين، وتكون الشياطين من الإنس والجن، وضمَّن (خلوا)

---

[١] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٢/ ١١٣٥) وتفسير الشعراوي، مرجع سابق (٦/ ٣٣٣١)

[٢] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق (٣/ ٤٨)

[٣] – انظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٦/ ٢٣٢)

معنى انصرفوا؛ لتعديته بـ (إلى) ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به[١]. والخلوة تشير إلى أن لقاءهم سري ويتفقون فيه على التناصر بالسر.

قال السعدي – رحمه الله –: " فإذا خلوا إلى شياطينهم – أي: كبرائهم ورؤسائهم بالشر – قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزئون بالمؤمنين بإظهارنا لهم أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله"[٢]. أي الظاهرة للمؤمنين والباطنة الخفية لشياطينهم.

ومن تناصرهم الخفي الإيحاء بالكلام المزين المزخرف: كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام:١١٢] "لأن غلبة الحق لا تجعلهم قادرين على أن يتجاهروا؛ لذلك يتآمرون مع بعضهم البعض، لكن الناس المحقين في قضية يتحركون في علانية. ولا يستخفون من الناس"[٣].

ومن التناصر غير الظاهر: الاستماع المقترن بالطاعة، والتسمع لحساب الباطل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة:٤١] الشاهد في الآية هنا، هو قوله (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ)، وهو يدل على ثلاثة معاني: الأول: ما قاله السعدي – رحمه الله –: " أي : مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على

---

[١] – انظر: أحمد شاكر، عمدة التفسير (١/ ٨٦)

[٢] – تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق (ص: ٤٣)

[٣] – تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٧/ ٣٨٧٨)

الكذب، والضلال والغي، وهؤلاء الرؤساء المتبعون (لم يأتوك) بل أعرضوا عنك"[١]. والثاني: يعني: "سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه". والثالث: يعني: التجسس ونقل الأخبار، ويدل له قوله: (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك)، أي: هم جواسيس"[٢]، لغيرهم ينقلون لهم الأخبار.

وكل المعاني فيهما دلالة على التناصر الخفي بين المذكورين من أهل الباطل، وهو مشهد يتكرر في الواقع.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة:٤٧]. فقوله (وفيكم سماعون لهم) "أي نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم، أو فيكم قوم ضعَفة يسمعون للمنافقين أي يطيعونهم"[٣].

ج) تناصر ثابت ومبدئي، وتناصر مصلحي، وسأتكلم عن ذلك بإجمال كما يلي:

فمن التناصر بين أهل الباطل ما يكون ثابتا مستمرا دائما، ومنه ما يكون بحسب المصلحة فينقطع أحيانا أو لا يتم لأسباب موضوعية، يرون معها ألا يجازفوا بكشف أوليائهم أو لتقديرات أخرى لديهم.

ومما يدل على أن التناصر بين أهل الباطل مبدأ ثابت، يتواصون به ويعتمدون عليه في مناوأتهم للحق وفي تأييد بعضهم بعضا في المواقف، قول الله تعالى موبخا لهم في الآخرة: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾[الصافات:٢٥]. فهذا السؤال هو توبيخ لهم بالعجز عن

---

[١] – تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق (ص:٢٣١)

[٢] – البغوي، تفسير البغوي (معالم التنزيل) (٢/ ٥٠)

[٣] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق (٤/ ٧١)

التناصر[١]، "فالسؤال ليس على حقيقته وإنما أريد به لازمه وهو التعجيب من عدم تناصرهم، وجملة (لا تناصرون) حال من ضمير (لكم) وهي مناط الاستفهام، أي أن هذه الحالة تستوجب التعجب من عدم تناصرهم، لأن التناصر بينهم ثابت من ثوابتهم، ولم يتركوه إلا لسبب أعظم من قدرتهم، والإضراب المستفاد من (بل) في قوله: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[الصافات:٢٦]، إضراب لإبطال إمكان التناصر بينهم"[٢] بسبب عجزهم عن ذلك، وهو ما دل عليه قوله (مستسلمون) "فالاستسلام: معناه الإسلام القوي، أي إسلام النفس وترك المدافعة، فهو مبالغة في أسلم"[٣]، وهذا العجز هو الذي منعهم من التناصر وليس عدم الإرادة. وقد ذكر المفسرون أن هذا السؤال (مالكم لا تناصرون) يشير إلى قول أبي جهل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر:٤٤]، ومعناه: أنهم باجتماعهم واتحادهم منتصرين على أصحاب الحق أو أنهم متناصرون ينصر بعضهم بعضا ويعاونه، أي هذا حالهم متحدين متناصرين متعاونين[٤].

إذا فالتناصر بينهم مبدأ ثابت لولا بعض المعوقات التي قد تجعلهم يستسلمون ويعجزون عنه أحيانا.

ومما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢]، فهذه الآية تدل على مدى اعتماد المبطلين على التناصر فيما بينهم، كمبدأ ثابت في منهجهم، وتدل أيضا على أن دافع التناصر هو المصلحة في بعض الحالات، كما في الآية، فقوله: "(فيهم) مبالغة في بيان رغبتهم في المسارعة وتهالكهم عليها، وإيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) للدلالة على أنهم مستقرون في الموالاة وإنما

---

[١] – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مرجع سابق (٣/ ١٢٠)

[٢] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٣/ ١٠٣)

[٣] – المرجع السابق نفس الموضع.

[٤] – انظر: التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٩/ ١١٨٩)

مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها"[١]. وهذا يدل على أن ذلك منهجا لهم يمارسونه ويظهرونه كلما سنحت لهم الفرصة لتوثيق ولائهم وتأكيده[٢]، وفيه دلالة على أنهم يتنقلون بين مراتب التناصر حيث هم مستقرون فيها[٣].

ثم ذكر السبب الذي حداهم إلى ذلك فقال: (يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ)، "أي يقولون بألسنتهم: نحن نخشى أن تقع بنا مصيبة من مصائب الدهر فنحتاج إلى نصرتهم لنا، فعلينا أن نتخذ لنا أيادي عندهم في السراء، ننتفع بها إذا مستنا الضراء"[٤]. وهذا هو الوجه المصلحي للتناصر، فالتناصر بينهم تناصر منهجي ثابت كمبدأ، ولكن قد يقع بحسب المصلحة أو كلما سنحت الفرصة لذلك.

وحتى التناصر بين الفرقة الواحدة من أهل الباطل فيه جانب واسع من المصالحة الحاكمة، فمع أنهم متفقون على التناصر عند هجوم الخطر عليهم، وتناصرهم مبدئي لضمان بقائهم واستمرار مصالحهم، إلا أنهم فيما بينهم ليسوا على ألفة ولا محبة خالصة، فالمنافقون ذكر الله أنهم (بعضهم من بعض) وهذا التعبير يدل على تشابك مصالحهم ووحدة منطلقاتهم ولكنه لا يدل على الانسجام ولا المحبة، ولذلك فليس ولاؤهم وتناصرهم كاملا من هذه الحيثية. وكذلك اليهود يقول الله عنهم: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤]، أي أن حقيقة ما بينهم أنهم " مختلفة آراؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق"[٥]، و"لا يقع بينهم اتفاق، ولا تعاضد إلا ظاهري"[٦].

---

[١] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق (٣/ ٤٨)

[٢] – انظر: تفسير المراغي، مرجع سابق (٦/ ١٣٧)

[٣] – التفسير الواضح، مرجع سابق (١/ ٥٢٥)

[٤] – تفسير المراغي، مرجع سابق (٦/ ١٣٧)

[٥] – تفسير القرطبي، مرجع سابق (١٨/ ٣٦)

[٦] – الأساس في التفسير، مرجع سابق (٣/ ١٤٣٧)

المبحث الثالث:

منطلقات ودوافع التناصر بين أهل الباطل في القرآن

المطلب الأول: منطلقات ودوافع منهجية للتناصر بين أهل الباطل

كما أسلفت القول بأن التناصر بين أهل الباطل هو مبدأ ثابت منهجي في الأصل، وقد تطرأ عليه من حيثيات معينة بعض التغيرات الظرفية، الواقعية أو المخطط لها أحيانا.

والتناصر بين أهل الباطل لاشك أن له دوافع ومنطلقات منهجية تبعث عليه وتحدد نوعيته ووسائله الآنية، ومن تلك الدوافع والمنطلقات المنهجية، ما يلي:

١. المنطلقات الدينية والفكرية، فالأساس في التناصر والموالاة بينهم هو الدين والفكر والعقيدة التي يحملونها والتي تجعلهم يتناصرون انطلاقا منها. وقد بينت كثير من الآيات القرآنية هذه المنطلقات لأهل الباطل، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة:٢]، فهذه الآية تكشف عن سبب العداء من الكفار للمسلمين، وهو الدين. ولما كان السياق في بيان أن الدين هو الذي ينبغي أن تقوم عليه الموالاة والمعاداة، فكما أن ذلك ينبغي أن يحصل بين المؤمنين فهو حاصل بين الكافرين، فمفارقة المؤمنين لهم في الدين جعلتهم أعداء لهم، وهذا يدل على أن تناصر المبطلين منطلقه ديني في الأصل، وتلك العداوة الشديدة للمسلمين تؤججها شدة الحنق على ما لقوا من المسلمين من إبطال دين الشرك وتحقير أهله وأصنامهم[١]. ولذلك فإن قوله: (وودوا لو تكفرون) يعني: أنهم يريدون إبطال دينهم بأي وجه وفي كل حال[٢]. ولما كان فريق من المؤمنين لا

---

[١] – انظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٨/ ١٣٩)

[٢] – انظر: المرجع السابق (١٤٠/٢٨)

يزالون متأثرين ببعض القرابات بينهم وبين المشركين بين الله لهم أن قرابة الدين هي أعظم قرابة ينبغي أن تقوم بين المؤمنين، فقال: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الممتحنة: ٣]، فلمحت هذه الآية إلى أن اختلاف الدين يقطع الأَنساب ويميت الصلات بين الأَهل والأَقارب[١].

ومما يبين المنطلق الديني للتناصر بين أهل الباطل، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[الأنفال:٧٣]، والمعنى: أن الموالاة من بعضهم لبعض لاتحادهم بالكفر، فالكفار يتجمعون بطبيعة كفرهم ومعاداتهم للإسلام[٢].والتعبير بالولاية لبعض في الآية للإيذان بأن النسبة بينهم بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك[٣]. وفيه أيضا: تنبيه إلى وجود التضامن التام بين أعداء الإسلام، يجمعهم عليه دينهم وملتهم الباطلة[٤].

ومن هذا المنطلق يأتي ما قاله البعض في سبب تسمية النصارى بهذا الاسم، قال: لتناصرهم فيما بينهم[٥].

٢. خبث الطوية المنطوية على الفسق والفجور، والحسد المنطوي على الحقد والجحود، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[المائدة:٥٩]. معنى الآية: هل تنقمون منا إلا مجموع هذه الحال من أنا مؤمنون وأنتم فاسقون[٦]، وقيل إن التعليل للنقمة بقوله

---

[١] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (١٠/ ١٣٧٤)
[٢] – انظر: محاسن التأويل، مرجع سابق (٤/ ١٦٧) وتفسير الشعراوي، مرجع سابق (٨/ ٤٨٢٢)
[٣] – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق (٤/ ٨٢)
[٤] – انظر: التيسير في أحاديث التفسير، مرجع سابق (٢/ ٣٤٩)
[٥] – انظر: تفسير ابن كثير، مرجع سابق (١/ ١٨٣)
[٦] – ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (٧/ ٤٠٦)

(إلا أن آمنا بالله..) هو بيان أن دافعهم هو خبث إيمانهم واعتقادهم الذي لا يماثل إيمان واعتقاد المؤمنين، والتعليل بقوله: (وأن أكثركم فاسقون) بيان أن الحسد لديهم هو داعي النقمة[١]. ووجه التناصر هنا أنهم تمالئوا على تلك الحال جميعا أو أكثرهم الذين أشارت لهم الآية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤، ٦٨]، لأنه ليس في نفوسهم بذرة خير، فلذلك تزداد شراستهم وحقدهم على الإسلام، فالشرير يصعد من الشر ويتجدد لديه الشر كلما رأى الخير يتنزل على أصحاب الحق، فبسبب خبث نفوسهم وحسدهم وحقدهم يزداد لديهم الطغيان على المؤمنين والكفر بالحق، ولن يتوقف ذلك عند درجة معينة أو مستوى معينا؛ ذلك أن لديهم مددا لا ينضب يمد ذلك الطغيان والكفر[٢].

ولما ذكر الله سببا لعدم اتباع الكفار للرسول قال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام:٣٣]، فبين أن الجحود أمر شديد لا يمكن معه اتباع الحق، بل إنه من منطلقات التناصر المنهجية بين أهل الباطل، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

٣. الموروثات المنهجية، في التخطيط والتربية والسلوك والثقافة، جيلا عن جيل وجماعة عن جماعة، فهم يتوارثون الخطط والمنهجية التي يتبعونها في التناصر ضد أعدائهم، بل قد تتكرر وسائلهم ذاتها، ومن هنا نجد أن كثيرا من الوسائل والمنطلقات والشبهات تتكرر عندهم من جيل إلى جيل، والآيات العديدة تدل لذلك، ومن أوضح تلك الآيات على هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ

---

[١] – انظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٦/ ٢٤٥)

[٢] – تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٦/ ٣٢٩٢) والأساس في التفسير، مرجع سابق (٣/ ١٤٥٩)

قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[الذاريات:٥٣]، فالآية من دلالتها أنهم لشدة تشابه أفعالهم وأقوالهم التي يتناصرون بها ضد الحق وأهله كأنهم يسيرون وفق مخططات موحدة، تواصوا عليها، وكأن بعضهم أوصى بعضا بذلك[١]، وكأن ذلك التواصي قائم بينهم عبر الأجيال بنفس الادعاءات، إذ يرددون على ألسنتهم دائما نفس الاتهامات، وإلى هذه الظاهرة الغريبة يشير قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[الذاريات: ٥٢. ٥٣]. وإلى هذا المعنى نفسه يشير قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: ٤٣][٢].

ولما كان منشأ ذلك التشابه إنما هو التماثل الفكري والتوافق المنهجي، أضرب القرآن عن إثبات التواصي الحقيقي بينهم عبر الأجيال وأثبت وحدة المنهجية الفكرية والتربوية كمنطلق منهجي يقوم التناصر بينهم ويتحد على أساس منه، فقال: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) فالذي جمعهم هو تشابه القلوب، والالتقاء على الكفر والفسوق والعصيان[٣].

وفي بيان تأثير الموروثات قال الله: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الأعراف: ٧٠].

وقال الله أيضا عن تماثلهم في الدوافع وتوارثهم للمنهجية الباطلة: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[البقرة:١١٨]، وقال أيضا: ﴿ وَقَدْ

---

[١] – انظر: مكي ابن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧١٠٦)

[٢] – التيسير في أحاديث التفسير، مرجع سابق (٦/ ٩٥)

[٣] – التفسير الوسيط لطنطاوي، مرجع سابق (١٤/ ٢٨)

مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الرعد: ٤٢]، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[النحل:٣٣]، والآيات كثيرة في بيان تأثير الموروثات ووسائلها وسبلها.

المطلب الثاني: منطلقات ودوافع متغيرة للتناصر بين أهل الباطل

هناك منطلقات ودوافع متغيرة وغير ثابتة تدفع للتناصر بين أهل الباطل، وقولنا متغيرة لا يعني أنها غير مبدئية، فهي وإن كانت متغيرة إلا أن آثارها تظهر في الأحوال والسياقات المناسبة ظهورا مبدئيا متكررا، فتكون من هذه الحيثية ثابتة ومنهجية، والتغير وعدم الثبات فيها يعني المرونة والمواءمة للواقع والوقائع ضمانا للفائدة الذاتية من جهة ومن جهة أخرى ضمانا لبقاء الصلة مع من يناصرون، ومن أهم منطلقات التناصر المتغيرة بين أهل الباطل، النفاق والمصلحة الذاتية الآنية.

والنفاق- في جانب منه- من الدوافع المتجددة والمتلونة التي قد تنطلي على كثير من الناس، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥٢]، فالآية أثبتت أن من دواعي المسارعة للنصرة المرضُ الذي في قلوبهم، وهو النفاق في الأصل، كما قرره القرآن[١] والمفسرون[٢]، وقد يطلق على ما هو أوسع من النفاق، من الحقد والشك وضعف اليقين[٣]، وهو دافع ثابت مبدئي من جهة كونه خلقا وطبعا للنفاق، وهو دافع متغير من جهة كونه مرتبط بالمصلحة المتغيرة. والتعبير بالمسارعة فيه دليل على سرعة الوقوع وعلى الرغبة المستكنة في النفوس[٤]

---

[١] – في قوله مثلا: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠].

[٢] – انظر: محمد محمد الخطيب، أوضح التفاسير (١/ ١٣٦) وغيره..

[٣] – انظر: التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٢/ ١٠٩٣)

[٤] – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق (٣/ ٣٦)

وإذا اجتمع مع النفاق دوافع الحقد والشك والمصلحة أيضا، كان ذلك سببا لعمق الولاء والتناصر مع أهل الباطل، ليس عن محبة ووئام وإنما عن كره للخصم وانتقاما منه وحقدا عليه.

والآية تفيد وتؤكد أيضا أن التناصر بين أهل الباطل ليس على مستوى واحد فقد يكون عميقا وشديدا، وقد يكون مصلحيا ليس إلا، ولذلك فإن التعبير بقوله: (يسارعون فيهم) في هذه الآية، والتعبير بقوله: (يسارعون في الكفر) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١]، في التعبير اختلاف مع أن المعنيين هم أنفسهم في الآيتين، فتارة يسارعون في مبدأ الكفر نفسه، وتارة يسارعون في أشخاص الكافرين، وفي ذلك دلالة عميقة على ذبذبة المنطلق الذي ينطلقون منه للمسارعة، كما أنه يدل على اختلاف المؤثرات المصاحبة، كالأهداف والجو المصاحب.. وأيضا هناك دلالة على تفاوت مستويات التناصر؛ حيث قد يصل إلى قبول المبدأ والفكر، وقد يكون على المستوى الشخصي لا الديني. بل قد يقف التناصر عند مستوى الكلام والقول فقط، ولا يتجاوزه، كما ذكرت آية سورة الحشر عن نصرة المنافقين لليهود.

وقد عبر الله أيضا عن تغير التناصر وتذبذبه تبعا للمصلحة والنفاق، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، فالآية تبين قدرة هؤلاء المذكورين على التأقلم وإزجاء النصرة لإخوانهم الذين يوالونهم من أهل الباطل، فمعنى الآية: "يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم، ونصرفكم من المؤمنين، أي: عن الدخول في

جملتهم. وقيل: معناها ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من المؤمنين، أي: ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأمورهم"[١]، وهذه وجوه من التناصر قد يخفونها أو يتوقفون عنها في بعض المواقف، وذلك عندما لا يكون الجو مهيئا لهم أو ليس في صالحهم، بل إنهم يظهرون مناصرة الفريق الضد، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ، فكلامهم هذا مع المؤمنين يقولونه لبيان نصرتهم وتأييدهم لهم تودادا ومصانعة عندما يكونون في وضع القوة والنفوذ[٢].

وهذا السلوك من المنافقين ما هو إلا تكتيك تمليه عليهم المصلحة الآنية والواقع غير المواتي لإظهار نصرتهم لإخوانهم أهل الباطل، والله سبحانه يبين ذلك التوجه عندهم في آية أخرى فيقول في وصفهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

---

[١] – تفسير البغوي، مرجع سابق (١/ ٧١٤)

[٢] – انظر: الأساس في التفسير، مرجع سابق (٢/ ١٢١١)

المبحث الرابع:

وسائل التناصر بين أهل الباطل في القرآن

المطلب الأول: الوسائل النظرية الفكرية والثقافية للتناصر بين أهل الباطل

للتناصر بين أهل الباطل وسائل نظرية متنوعة، وهي ذات مستويات متفاوتة في الأهمية والأخذ بها، ومنها ما هو استراتيجي ومنها ما هو تكتيكي، وقد تؤثر الوقائع والأحداث والواقع في اتخاذ الوسائل الموائمة منها.

وأقصد بالوسائل النظرية التي تكون في مستوى التنظير والثقافة والفكر، وتأتي خطورتها وأهميتها من كونها تعزز فكر وثقافة الولاء والنصرة فيما بين أهل الباطل أو الولاء لهم.

واتخاذ هذه الوسائل الفكرية والثقافية من أهم المرتكزات التربوية البنائية، كما أنها من أهم ركائز تثبيت الأفكار والمبادئ، بصورة عامة.

وقد بين القرآن جانبا من تأثير الوسائل الفكرية والثقافية على الأتباع، وبين مدى خطورتها في الواقع، لأنها تغير من التوجهات وتغذي القناعات وتعزز الولاءات، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة:٧٨]، فالمعنى هنا: أن "من هؤُلاء اليهود، عوام جهلة: لا يعرفون القراءَة ولا الكتابة، فلا يقرءُون التوراة، لا يتحققون مما فيها. ومدى علمهم بها أماني مدسوسة وأكاذيب باطلة، تلقوها عن رؤسائهم وأحبارهم، وعملوا بها تقليدًا لهم"[١]. ويقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة:١٠٢]، وهذه الآية

---

[١] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (١/ ١١٩)

تبين مدى تأثير الوسائل الثقافية على الناس، فالناس تأثرت وتتأثر بتلاوة وقراءة الشياطين – من الإنس أو من الجن– لكلام كاذب مفترى أضافوه لسليمان وللملكين ببابل ليروج على الناس ويتبعوه –وهو ما حصل–، ونفس الوسيلة لا تزال يؤخذ بها: وهي تكرار القراءة على الناس وإغراقهم بالأفكار والثقافة الباطلة التي قد ينسبونها إلى الفضلاء أو إلى من يحبهم الناس ويحترمونهم ليقبلها الناس ويأخذون بها ويتبعونها،" والاتباع في الأصل هو المشي وراء الغير ويكون مجازا في العمل بقول الغير وبرأيه وفي الاعتقاد باعتقاد الغير"[١]، والتعبير بالفعل (تتلوا) وهو مضارع يدل على الاستمرار ليبين أن هذه الوسيلة لا تزال معتمدة في كسب الناس وولائهم، ولا يزال مثل هذا العمل يروج على أتباع الباطل ويؤثر فيهم[٢].

ويصل التأثير الفكري والثقافي إلى أن يكون عائقا عن قبول الحق الواضح، كما يبينه –مثلا– قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٧٠]، فهذه الآية تبين مدى التأثر بالموروثات العقدية والفكرية والعادات والسلوك الموروث أيضا.

وهذه الوسائل الفكرية لا يقتصر المبطلون على العمل بها في أوساط أتباعهم فقط إنما يعتمدونها أيضا لاستهداف أصحاب الحق، بالتأثير السلبي وكسب المواقف والولاءات والأشخاص، ولا يملون ولا يفترون عن ذلك، حتى لقد عبر القرآن عن غايتهم من ذلك فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠]، وهذه الآية تدل على أنهم يستهدفون أرفع قيادة في صف أصحاب الحق، ويريدون

---

[١] – التحرير والتنوير، مرجع سابق (١/ ٦٢٨) وانظر: (١/ ٦٢٩)

[٢] – انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق (١/ ٤٨٨)

التأثير عليهم وكسبهم إلى صفهم وعقيدتهم، وبالتالي فإن استهدافهم لمن هم دون الصف القيادي سيكون أولى وأحرى، والتأثير فيهم أسهل، خصوصا ذوي المستويات الفكرية والثقافية المحدودة، فتتأثر أفكارهم وربما أحدث ذلك بلبلة وخلخلة لولائهم للحق، ولذلك حذر القرآن من الاستماع لأفكارهم أو الاعتقاد بها وأكد على البعد عن مواردها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام:١٠٦]، وقوله﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨]، والآيات في هذا كثيرة. وهي تدعوا إلى التحصين الفكري فهو أخطر من أي شيء آخر يمكن أن يستهدف صف الحق.

وعند النظر إلى الوسائل الفكرية والثقافية التي يتناصر بها أهل الباطل، نجد أن القرآن أوضح جانبا منها، أو من أصولها، وأشار إلى تنوعها وتجددها عندهم. وأنا هنا سأذكر بعضا منها، ومن تلك الوسائل ما يلي:

١. الترويج للباطل بأنواع من الضلالات، تمجيدا له أو تسفيها للحق وتقليلا لشأنه:

ومن هذا: ترويجهم للآلهة الباطلة وتخويفهم منها، ما ذكر الله عن قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[هود:٥٤]، أي أن بعض آلهتنا قد أصابك بسوء لأنك سببتها، فصرت مجنونا[١]، وفي هذا مدح وتريج بأن آلهتهم تنفع وتضر.

ومن هذا: أنهم يفرضون لآلهتهم اعتقادات باطلة لا تقوم بها ولا تنبغي لها، ويعطونها أشياء لا تستحقها: كما يبينه قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾[النحل:٥٦]. وهذا مما يقوم به المنتفعون بتلك

---

[١] – انظر: تفسير البغوي، مرجع سابق (٢/ ٤٥٣)

الآلهة، فهم ينصرون الآلهة بمثل هذا الوجه ليضمنوا استمرار السيطرة على الأتباع بواسطة الآلهة التي يثبتون اعتقاد الناس بنفعها وضرها، ومن هنا قال في نهاية الآية: (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ) ليبين أن فعلوا ذلك افتراء وكذبا متعمدا، وهو بُعد من أبعاد التناصر الحاصل بينهم ينصرون الآلهة وينتصرون بها، جحودا واستكبارا، وتحطيما لعقيدة التوحيد[١].

ومن هذا أيضا: أنهم يتنادون للتناصر بعذر نصرة الآلهة، كما فعلوا مع إبراهيم عليه السلام، ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء:٦٨]، "أَي قال بعضهم لبعض: حرقوا إبراهيم وانصروا بذلك آلهتكم، فقد سخر منها ونالها بالتحطيم ولم يرع قدسيتها وتعظيمها عندكم. {إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}: أَي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مبينا فهذا سبيله، وإِلَّا تفعلوا كنتم مفرطين في حقها"[٢].

ومن هذا أيضا: أنهم أحيانا ينتصرون لآلهتهم بما لا مدخل فيه للانتصار، فمثلا: عندما ذكر الله أن المعبودات من دون الله حطب جهنم، قال بعض قريش أن النصارى تعبد عيسى فسيكون من حطب جهنم، وقالوا إذا كان عيسى في النار فنحن وآلهتنا لا بأس أن نكون معه، فرد الله عليهم ذلك. وسجل عليهم أنهم يجادلون لأَجل الجدل والخصام والغلبة في القول لا لطلب الحق..، فهم لُدٌّ شداد الخصومة، مجبولون على المكابرة وحب المغالبة بحق أو بباطل[٣]. فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨].

---

[١] – وانظر: الأساس في التفسير، مرجع سابق (٦/ ٢٩٥٠)

[٢] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٦/ ١١٣٥)

[٣] – المرجع السابق (٩/ ٨٢٣)

ومن هذا الباب: إشاعة الخوف والرهبة من اتباع الحق.. وهم بذلك يقصدون العكس: أي أن بقاء الناس على ما هم عليه أنفع لهم، ومن هذا ما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٠]، هنا التخويف من الخسارة، أي خسارة أموالهم وممتلكاتهم، "سيخسرون لأنهم كانوا سيأخذون أكثر من حقهم حين يطففون الكيل ويخسرون الميزان، والقوي يأخذ من الضعيف؛ فإذا ما ارتبطوا بالمنهج واتبعوه خسروا ما كانوا يأخذونه من تطفيف الكيل وبخس وخسران الميزان. وهذه هي الخسارة في نظرهم المنحرف"[١].

والترويج للباطل ونصره له أبعاد كثيرة ولست هنا بصدد ذكرها، فنكتفي منه بما ذكرت.

٢. التوعية الخاصة وبث روح المصابرة فيما بينهم، ليثبتوا ويقاوموا الحق، كما يشير له قوله تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[الفرقان: ٤٢].

والمقصود من كلامهم هذا: تفاخرهم بتصلبهم في دينهم.. وبيان أنهم تريثوا فكان في الريث أن أفاقوا من غشاوة أقواله وخلابة استدلاله واستبصروا مرآه فانجلى لهم أنه لا يستاهل أن يكون مبعوثا من عند الله، فقد جمعوا من كلامهم بين تزييف حجته وتنويه ثباتهم في مقام يستفز غير الراسخين في الكفر ليرسخوا فيه[٢].

٣. كتمان المعرفة الصحيحة من أجل تضليل الناس، ومن: يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦]. فمع معرفتهم للحق معرفة واضحة ليس فيها لبس، إلا أنهم لا يبينونه للناس عند حاجتهم إليه، بل قد يزيفون الحقائق نكاية بالخصوم وانتصارا لباطلهم.

---

[١] – تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٧/ ٤٢٤٨)

[٢] – انظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق (١٩/ ٣٣) باختصار وتصرف يسير.

٤. تحريف الحقائق وعدم عرضها عرضا صحيحا سليما، كما في قول تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٨]. يفعلون ذلك لتقوية مركزهم والتنقيص من مكانة الإسلام والطعن في الرسول، ورغبة في التلبيس والتدليس[١].

٥. المحاجة والمجادلة بالباطل: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[آل عمران:٢٠]، هذه الآية تبين أنهم يحاجون أهل الحق في أمور كثيرة، ولكن الله علمه بهذه الآية أن يحسم الأمر معهم فلا يلتفت إلى أباطيلهم، لأن هدفهم هو صرف أصحاب الحق إلى أمور جانبية تشغلهم عن الدعوة والمجاهدة في الله[٢].

ومما يبين قصدهم للمجادلة قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨].

٦. التأويل الفاسد، ليفتنوا به الناس ويصدوا به عن الحق، كما يبينه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[آل عمران:٧]، فقوله: "{فيتبعون ما تشابه منه} أي: معرضين عن المحكمات ويتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحريا للحق بل {ابتغاء الفتنة} أي: طلب أن

---

[١] – انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٣/ ١٥٥٨، ١٥٥٩)

[٢] – انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، مرجع سابق (٢/ ٥٩)

يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه، {وابتغاء تأويله} أي: وطلب أن يؤلوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة"[١].

وأكتفي بهذا القدر من وسائل التناصر النظرية بين أهل الباطل..

المطلب الثاني: الوسائل العملية السلوكية للتناصر بين أهل الباطل

أهل الباطل لا يكتفون بالتناصر من خلال الوسائل النظرية والفكرية فقط، وإنما يتناصرون أيضا من خلال وسائل عملية يؤيد بعضهم بعضا بها، ويؤيدون بها باطلهم أيضا، ويجب النظر إلى تلك الوسائل بنفس النظر الذي أشرت إليه في الوسائل النظرية، وهو أن من هذه الوسائل ما هو تكتيكي مرحلي وما هو استراتيجي بعيد المدى، ولكل ذلك مقتضيات مرحلية أو واقعية تفرض نوعا من الممارسات أو وسيلة من الوسائل، ومن تلك الوسائل العملية ما يلي:

١. اللقاءات والاجتماعات للتخطيط والإعداد، وهذا عمل لا بد منه من أجل تنظيم الأعمال وتوزيع المهام، وقد أشار إليه اجتماع إخوة يوسف عليه السلام قبل تنفيذ خطتهم لإبعاد يوسف عن أبيه[٢]، وقد أثبت القرآن ذلك في سورة يوسف من (الآية ٧ إلى الآية ١٨)، وفيها يتبين مدى دقة التخطيط الذي قاموا به وتشاورا عليه.

٢. وضع هدف وغاية يمنون بها أنفسهم وأتباعهم يتناصرون عليها، ومن ثم الاجتهاد والتجلد والمصابرة والبذل من أنفسهم وأموالهم في سبيل ذلك، فهم يبذلون في سبيل باطلهم ويضحون من أجله، وقد حفز الله المؤمنين على البذل والتضحية في سبيل الحق بذكر بذل وتضحية أهل الباطل، فقال: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن

---

[١] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق (٢/ ٨)

[٢] – إخوة يوسف وإن تابوا فيما بعد إلا أن إثبات موقفهم هذا في القرآن يشير إلى ما قاموا به من تخطيط لعملهم الباطل.

تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء:١٠٤]، فأهل الباطل يبذلون ويألمون في سبيل باطلهم، ولهم رجاء وهدف يهدفون إليه، وذلك الرجاء والهدف هو الدافع والوسيلة التي يتناصرون لها والتي يتجمعون عليها.

وفي قوله الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء:٧٦]، فيه بيان أنهم يجتمعون حول الطاغوت ويقاتلون في سبيله، وهذا يدل أنه وسيلة اجتماعهم، والناس مجبولون على الاجتماع حول غاية واضحة أو شيء ملموس معلوم، يكون فيه توجيه لهم وباعث على التناصر والولاء والاندفاع[١]. والآيات في هذا كثيرة..

٣. قتال أهل الحق وبذل نفوسهم في سبيل باطلهم، وهذا ما ذكرته الآية السابقة وغيرها..

٤. إنفاق الأموال وبذلها في دعم مشاريع الباطل والصد عن سبيل الله، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:٣٦]. "نزلت هذه الآية في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلًا، يطعم كل منهم يوما يذبح فيه عشرا من الإبل، والآية عامة الحكم وإن نزلت بسببٍ خاص"[٢].

٥. الشهادة للباطل ضد الحق، كما يبينه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ

---

[١] – انظر: في ظلال القرآن، مرجع سابق (٢/ ٧٠٩) والتيسير في أحاديث التفسير، مرجع سابق (١/ ٣٥٩)

[٢] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٣/ ١٦١٧)

﴿ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١]، الآية في سياق تناصر الكفار واليهود ضد الإسلام، وكيف شهد اليهود للكفار بأن دينهم أفضل من دين الإسلام، و"كون اليهود أوتوا نصيبا من الكتاب يقتضي لهم أن لا يقعوا فيما وقعوا فيه، ولكن الحامل لهم على ذلك هو الحسد"[١]. وقد لعنهم الله تعالى وأخبر عن خذلانهم يوم يحتاجون للتناصر، جزاء ما قصدوه بفعلهم هذا، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢]، "وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وإنما قالوا لهم ذلك، ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب"[٢].

٦. التشكيك بالحق من خلال السلوك العملي، لخلخلة عقيدة الصف المؤمن، كما يبينه قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[آل عمران:٧٢]. فقد تآمر اليهود أن يظهر بعضهم الإيمان برسالة محمد بداية النهار ويكفرون آخر النهار، "والهدف بطبيعة الحال هو إشاعة الشك وزراعة البلبلة في نفوس المؤمنين بخصوص هذا الدين، فقد يقول بعض من الأميين: لقد اختبر أهل الكتاب هذا الدين الجديد وهم أهل علم بمناهج السماء ولم يجدوه مطابقا لمناهج السماء"[٣]، فيكون في ذلك تشكيك وخلخلة للمؤمنين.

٧. الإرجاف لخلخة صف الحق لينتصر إخوانهم، كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ

---

[١] – تفسير البحر المحيط، مرجع سابق (٣/ ٦٧٦)

[٢] – تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٢/ ٢٩٥)

[٣] – تفسير الشعراوي، مرجع سابق (٣/ ١٥٣٩)

بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الأحزاب:٦٠]، الإرجاف هو نشر الأخبار الكاذبة، وهؤلاء المذكورون في الآية: "هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين"[١].

ومن الإرجاف: بث الشائعات والشبهات الكاذبة للتشكيك في الحق ولإشغالهم بقضايا جانبية، كما حدث عند تغيير القبلة إلى الكعبة، وأنزل الله تعالى بيان ذلك: فقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة:١٤٣]. وقد أثبت القرآن أنهم تكلموا في هذا الفعل واستغلوه للتشكيك في دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة:١٤٢]. فالآية تبين أن هذه العملية ستحدث هزة عنيفة يستغلها المشككون[٢].

ومن هذا الباب: بث التهم وتلفيقها ضد الحق وأهله، كما جرى في حادثة الإفك، وكما اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه درس القرآن أو تعلمه على بشر، أو تدارسه معه[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام:١٠٥]. وفي قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل:١٠٣].

---

[١] – مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مرجع سابق (٣/ ٤٥)

[٢] – انظر: تفسير الشعراوي، مرجع سابق (١/ ٦٢٣)

[٣] – انظر: التفسير الوسيط – مجمع البحوث، مرجع سابق (٣/ ١٣٠٣)

٨. التظاهر والتعاون لمضارة المؤمنين، والتظاهر بمعنى المعاونة والتَّنَاصُر، من المظاهرة، كأن كل واحد منهم يسند ظَهْرَهُ للآخر ليتقوّى به، فيكون له كالظَّهر[١]، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[البقرة:٨٥]، في قوله (تظاهرون) خمس قراءات كلها بمعنى التعاون والتناصر[٢].

والله سبحانه يقول أيضا: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٥]، "الظهير: المعين، فتكون الآية بمعنى توبيخهم على ذلك، من أن الكفار يعينون على ربهم غيرَهم من الكفرة والشيطان بأن يطيعوه ويظاهروه[٣]. والتظاهر فيه تكثير للسواد ودعم حسي ومعنوي.

٩. مضاهاة ومماثلة الأقوال والأفعال وتشبه بعضهم ببعض، وفي ذلك تمكين لثقافتهم وسلوكاتهم، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة:٣٠]، أي: "ليس لهم على قولهم الباطل هذا دليل ولا برهان، ولكنهم يشابهون ويتابعون فيه قول الذين كفروا من قبلهم من الأمم"[٤].

١٠. نقل أخبار وأسرار الصف المؤمن، وتخذيل المؤمنين وتثبيطهم ومحاولة تفريقهم لإضعافهم خدمة للعدو، وغير ذلك من وجوه الإفساد والخبال وبث روح الهزيمة في صفوف المؤمنين[٥]، كما يبينه قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا

---

[١] – اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق (٢/ ٢٤٩)

[٢] – انظر: تفسير البحر المحيط، مرجع سابق (١/ ٤٥٩) والهروي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢/ ٦٤) وغيرهما..

[٣] – ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢١٥)

[٤] – التفسير الوسيط لطنطاوي، مرجع سابق (٦/ ٢٦٠)

[٥] – انظر: ابن القيم، تفسير القرآن الكريم (ص: ٣٠٤)

خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة:٤٧].

١١. التناصح والتواصي بوسائل وخطط المكر والكيد للمؤمنين، ومن ذلك تبادل التجارب والخبرات، وتزيين الباطل والتواصي بالثبات عليه، ومن ذلك مثلا: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦]، فالآية تقرر تواصيهم وبذلهم النصح لبعضهم لنصرة باطلهم، وقد ثبت أن قريشا كانت بعضهم بعضا بذلك[١]. وهكذا أهل الباطل من سلوكهم النصح لبعضهم والتواصي على صد الحق.

وهم إنما يحسنون باطلهم بزخرف القول، ولهم من يزخرف لهم، ويجعل باطلهم في صورة الحق كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام: ١١٢]، وزخرف القول، المقصود به أنهم يدخلون على المسائل بالتزيين، فيزينون الشهوات والشبهات[٢]، وبفعلهم ذاك يتبادلون التجارب في الإفساد ويعطي بعضهم بعضا آفاقا يكسب من خلالها أتباعا وأنصارا، ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام:١١٣]، قال السعدي – رحمه الله –: "أي : يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعو إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات، حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني"[٣].

---

[١] – انظر: مفاتيح الغيب، مرجع سابق (٢٧/ ٥٥٩) وتيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق (ص: ٥٥٥)

[٢] – انظر: مفاتيح الغيب، مرجع سابق (٧/ ٣٨٧٩)

[٣] – تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق (ص: ٢٦٩)

إلى هنا وأصل إلى نهاية هذا البحث، فما كان فيه من خير فمن الله وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشيطان.. وعلى الله القبول، وهو حسبنا ونعم الوكيل..

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

١. معاني التناصر اللغوية هي معان وضعية عامة، ولا تختص بجماعة معينة أو فرد أو صفة، ويمكن تطبيقها على أي جماعة أو فئة تتناصر فيما بينها.

٢. يطلق التناصر على معنى التَّعاون على النَّصر بوسائل وأساليب متنوعة وليس بالضرورة أن يبنى على الموالاة الكاملة.

٣. التّناصر من باب التفاعل، ومعنى ذلك أنه يحدث من جانبين، سواء على مستوى الأفراد أو المجموعات أو الدول.

٤. التناصر بين أهل الباطل يقع ظاهرا في الدنيا، وتكون بينهم وجوه عديدة منه، بل قد يظهر ذلك التناصر في أقصى قوته. ولكنه في الحقيقة والواقع يحتوي على خلل في بنيته؛ لأنه لا يقوم على أسس تضمن له الاستمرار والصدق والدوام.

٥. أهل الباطل يجمعهم الحرب على الحق، فيتناصرون على ذلك الأساس، أو على أساس المصلحة، وشأنهم الداخلي يمثل قمة التنافر والتباعد.

٦. من الحقائق القاطعة في القرآن الكريم أن التناصر في الآخرة ينقطع بين الناس جميعا، مؤمنين وغير مؤمنين. ويستثنى من ذلك ما يقع بين المؤمنين من الشفاعة، وإنما يكون ذلك بإذن الله تعالى ورحمته تكريما لهم.

٧. من وجوه التناصر بين أهل الباطل: الموالاة أو الولاية، وهي مصطلح قرآني وتنبني في الأصل على الوفاق والوئام والصلة، وهي وصف جامع لكثير من وجوه التناصر، كما أنها أوسع وجوه التناصر بين أهل الباطل، ولكن قد ينقصها المحبة والتماهي الكامل بينهم.

٨. من وجوه التناصر بين أهل الباطل: التعاون، وله صور متنوعة، ومستويات متفاوتة، والتعاون بين أهل الباطل هو أن يعين بعض الناس بعضا على فعل الشر وترك الخير والتعدي على الغير.

٩. من التعاون بين أهل الباطل: التعاون من خلال دعم مواقف بعضهم أو تصرفاتهم، أو الوقوف والدعم الظاهر بالقول والتأييد، ويكون بالتغاضي والسكوت عن أهل الباطل وتصرفاتهم، والرضا بأفعالهم.

١٠. من التناصر بين أهل الباطل: التعزيز لهم والتعزُّز بهم، وتكاثر بعضهم ببعض، واستمتاع بعضهم ببعض، والدعم المادي والمعنوي فيما بينهم.

١١. وجوه التناصر بين أهل الباطل ليست على مستوى واحد من القوة ولا من الشمول، بل تتفاوت في ذلك؛ كون التناصر بينهم مبني على مرتكزات مختلفة ومتنوعة وغير ثابتة.

١٢. قد يقع تناصر شامل بين أهل الباطل على كل المستويات أو على مستوى واسع المجالات؛ بحيث يجتمعون ضد عدو مشترك ويتفقون في المناهج أو الأهداف والغايات والمخططات. وقد يكون بينهم تناصر جزئي غير شامل، في بعض الجوانب المتفق عليها، أو التي تتحقق فيها مصالح أو أهداف محدودة لدى الجميع.

١٣. مبدأ القيام بالتناصر ثابت عند أهل الباطل، ولكنهم قد يتخلون عنه بحسب تقديرات خاصة بهم في الدنيا، وأما في الآخرة فيتخلون عنه مجبرين لا مختارين.

١٤. هناك منطلقات ثابتة ودائمة للتناصر بين أهل الباطل، وهي منطلقات ذات أبعاد دينية وفكرية ثقافية، وأبعاد أخلاقية وسلوكية تربوية، وأبعاد منهجية تخطيطية.

١٥. وهناك منطلقات مرنة ومتغيرة للتناصر بين أهل الباطل، وهي ترجع إلى النفاق والمصلحة الآنية، في الغالب.

١٦. للتناصر بين أهل الباطل وسائل نظرية متنوعة ووسائل عملية متنوعة أيضا، وهي ذات مستويات متفاوتة، فمنها ما هو استراتيجي ومنها ما هو تكتيكي، ولا يقتصر تأثيرها على أتباعهم بل يُستهدف بها أصحاب الحق أيضا.

١٧. من وسائل التناصر بين أهل الباطل: في الجانب النظري: الترويج للباطل بأنواع من الضلالات، والتوعية الخاصة وبث روح المصابرة فيما بينهم، وكتمان المعرفة الصحيحة وتحريف الحقائق والمحاجة والمجادلة بالباطل والتأويل الفاسد.

١٨. ومن وسائلهم العملية للتناصر: اللقاءات والاجتماعات للتخطيط والإعداد، ووضع أهداف وغايات يتناصرون عليها، ويبذلون من أنفسهم وأموالهم في سبيل ذلك، وقتال أهل الحق، تزييف الحقائق والتشكيك بالحق والإرجاف بين المؤمنين، وتخذيل المؤمنين وتثبيطهم، ومظاهرة بعضهم بعضا والمعاونة والتواصي بالباطل وتبادل الخبرات والتجارب ومضاهاة بعضهم بعضا في الثقافة والسلوك.

ثانيا: التوصيات:

توصي الباحثة الباحثين: بأن يكون هناك بحث يتوسع في وجوه ووسائل التناصر بين أهل الباطل مقارنة بالواقع.

كما توصي الباحثة معاهد إعداد الدعاة للاستفادة من مثل هذا البحث، والاهتمام بهذا الجانب التوعوي المهم.

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

المراجع والمصادر

١. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (١٤٠٥ – ١٩٨٥م) ط١، غريب الحديث، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (١٤٢٢ هـ) ط١، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت.

٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) (١٤١٠هـ) ط١، تفسير القرآن الكريم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت.

٤. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، (١٤١٩ هـ –١٩٩٨م) ط١، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس.

٦. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، (١٤١٩هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

٧. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (المتوفى: ٥٤٢هـ) (١٤٢٢هـ) ط١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (١٤١٩ هـ) ط١، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات، محمد علي بيضون – بيروت.

٩. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ط٥، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

١١. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، (١٤٢٠هـ)، تفسير البحر المحيط، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
١٢. أحمد ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.
١٣. أحمد شاكر، (١٤٣٦ هـ - ٢٠٠٥ م) ط٢، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، المنصورة.
١٤. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (المتوفى: ٥١٠هـ) (١٤٢٠ هـ) ط١، تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت.
١٥. الحجازي، محمد محمود، (د.ت) التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت.
١٦. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (د.ت)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى . بيروت.
١٧. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى (المتوفى: ١٢٠٥هـ) (د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م) ط١، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة. بيروت.
١٩. الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩٧ م)، تفسير الشعراوي — الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤هـ) ط١، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
٢١. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ط١، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
٢٢. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم (المتوفى: ١٣٣٢هـ) (١٤١٨ هـ) ط١، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣. - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤. المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) ط١، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٢٥. المناوي، محمد عبد الرؤوف، (١٤١٠هـ) ط١، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق.
٢٦. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ط١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت.
٢٧. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) ط١، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان.
٢٨. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.
٢٩. سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، (١٤٢٤هـ) ط٦، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة.
٣٠. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ) (١٤١٢ هـ) ط١٧، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- القاهرة.
٣١. طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٧. ١٩٩٨م) ط١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.
٣٢. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) ط١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
٣٣. . مجموعة من الباحثين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد (١٤١٨هـ. ١٩٩٨م) ط١، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. دار الوسيلة، جدة.
٣٤. محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ط١، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.
٣٥. محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م) ط٦، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها.

٣٦. محمد مختار عمر، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ط١، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب.
٣٧. مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) ط٤، الصحيح المسند من أسباب النزول، الناشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة.
٣٨. مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، ط١، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.
٣٩. نشوان الحميري، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) ط١، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية).
٤٠. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت، (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ط١، ٢، الموسوعة الفقهية الكويتية.